مجلة دراسات دوليّة

اسم المقال: المؤسسة العسكرية الامريكية واحتلال العراق
اسم الكاتب: أ.م.د. حميد حمد السعدون
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/6842
تاريخ الاسترداد: 2026/11/03 02:11 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة دراسات دوليّة جامعة بغداد ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

المؤسسة العسكرية الامريكية واحتلال العراق

الاستاذ المساعد الدكتور
حميد حمد السعدون(*)

المقدمة:

كانت لحظة احتلال العراق في التاسع من نيسان / أبريل ٢٠٠٣ لحظة مفصلية مهمة في تاريخ العراق والمنطقة من جهة ، وفي تاريخ وطبيعة الحجم الكوني للولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى، مما رتب استحقاقات على جميع الأطراف، سواء في اللحظة الحالية، أم في الزمن القادم. وقطعا إن تلك الاستحقاقات ليست نزهة بريئة، بل إن بعضها ثقيل ومؤلم ومكلف. فضلا عن ذلك إن الاحتلال وبالشكل الذي تحقق لم يتوافق مع وجدان وطبيعة شعوب المنطقة، وفي المقدمة منها الشعب العراقي، مما أثقل مسيرته بحوامل كبيرة، كانت أثمانها ذات تكاليف عالية في كل أشكالها.

عنوان القوة:

بعد اكتشاف القارة الأمريكية في العام ١٤٩٢، وإزاء ما تزخر به من ثروات هائلة، فقد كان السيل المتدفق من المهاجرين نحوها، حالة متواصلة لا تنقطع. ولأن هؤلاء المهاجرين اصطدموا بسكان القارة الأصليين بعد أن بانت نزعتهم في التملك والسيطرة والاستحواذ، فقد آل الأمر أن يحتكم الطرفان لحالة من العنف كانت نتائجها النهائية لصالح المستوطنين الجدد، بحكم ما يملكونه من أدوات عنف وقتل لا يملكها الطرف الآخر، هذا غير أعدادهم المتزايدة في كل يوم. ولذلك فقد ترسخت حالة العنف في الحضارة التي تأسست في العالم الجديد ، وأصبحت أحد مؤشرات المجتمع الذي بات يتسع يوما بعد آخر في كل الاتجاهات ، منبئا عن حالة وظاهرة جديدة في كل شيء.

ولأن الشكل الاستعماري الذي سيطر على هذه القارة لحقب طويلة، بات مرفوضا من المستوطنين والمهاجرين الجدد الذين هربت أعداد كبيرة منهم من القارة الأوروبية إزاء الظلم الواقع عليهم، لأسباب دينية، وسياسية، واجتماعية، واقتصادية... الخ. لذلك وجد الطرفان نفسيهما في صراع مسلح، وكانت نتائجه النهائية لصالح سكان القارة الجدد، وهو ما اصطلح على تسميته في الأدب السياسي الأمريكي "حرب الاستقلال" التي جرت وقائعها في الربع الأخير من القرن الثامن عشر.

حرب الاستقلال أنتجت البراعم الأولى للمؤسسة العسكرية الأمريكية " الجيش " الذي اضطلع بكل مهمات هذه الحرب ، وأنجز هدفها الأساسي المتمثل بالاستقلال الكامل ، وهذا ما أعطاه أرجحية معنوية واعتبارية في مؤسسات الدولة الأمريكية ، لذلك كان الرئيس الأول للولايات المتحدة الأمريكية هو أحد أبطال الاستقلال الجنرال (جورج واشنطن)

(*) استاذ العلاقات الدولية المساعد -مركز الدراسات الدولية-جامعة بغداد.

الذي سميت العاصمة الفدرالية تيمنا باسمه [1]. فضلا عن ذلك فإن الجيش كان له الدور الحاسم في إنهاء الحرب الأهلية التي شهدتها هذه البلاد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بالاتحاد الذي وحد كامل البلاد تحت سلطة واحدة . بل أن بطلي الحرب، وعلى الجانبين ، وهما الجنرال (لي Lee) والجنرال (غرانت Grant) مازالا محتفظين بتقديرهما العالي في الوجدان الشعبي الأمريكي . فضلا عن ذلك فقد كان للجيش وقوته الدور الأساسي في التوسع الأمريكي باتجاه الغرب والجنوب ، مما مكن الولايات المتحدة من السيطرة على مناطق مهمة وإستراتيجية ، ولعل ذلك يبدو واضحا من إطلالة هذه الدولة على محيطين ، هما الأطلسي والهادي ، اللذان يشكلان ستار حماية لها بوجه الغزاة .

كل ذلك يعطينا صورة لأهمية الدور الذي اضطلع به الجيش في الشكل النهائي للولايات المتحدة الأمريكية ، مثلما نعرفه حاليا ، ناقلا بذلك الوطن الأمريكي من شكله الريفي المعروف ، إلى دولة مدنية قوية وفاعلة [2].

كما أن الدولة الأمريكية ومنذ بداية تأسيسها ، لم تكن على وفاق مع فكرة الحدود والسيادة على إقليم معين ، لأن هذه الدولة لم تنشأ في إطار دستوري وقانوني له مساحته المعترف بها ، وعلى القواعد التي أقرتها التجارب في نشأة الدولة وتأسيسها ، كما أن مفهوم السيادة على حدود معينة ومرسومة ، ظل مفهوما مائعا ومناطا بقدرة الجيش حيثما تمكن منها . وهذا الأمر أدى إلى استبدال مبدأ السيادة الثابتة بمطلب الاتساع المستمر [3]. ولذلك كان شكل إقليم الدولة الأمريكية يتغير نحو الاتساع قياسا بين لحظة التأسيس والوقت الحاضر، وهو في تقديري متعلق بتجربة الأمريكان مع سكان القارة الأصليين، مما انعكس في نزعتهم بالتوسع الدائم.

وتحت وهج النتائج التي حققوها على أرض القارة الجديدة، فقد فكر الأمريكان في تحصين دولتهم من خلال جملة من الإجراءات بوجه القوى الأوروبية الطامعة بخيرات هذه القارة. لذلك شرّع "مبدأ مونرو" في العام ١٨٢٣ الخاص بالحدود البحرية بين القارة الأوروبية والعالم الجديد، كما جرى احتلال الجزر الوسطية في المحيط الأطلسي كافة، وكذلك جزر "هاواي" و"الفلبين". وكل ذلك تحقق بفعل وقدرة المؤسسة العسكرية.

ما أنجز يمكن أن نطلق عليه "حدود الأمن" التي تحولت لاحقا إلى حدود سيادة، حينما ظهرت الولايات المتحدة الأمريكية بقوتها الباذخة على المسرح السياسي الدولي بعد الحرب العالمية الثانية كقوة لا تنازع بقدرتها في التحكم بمصير العالم ومستقبله، بامتلاكها السلاح النووي الذي جربته على اليابان في العام ١٩٤٥، مما أوحى أن تكون مصائر العالم مرهونة بسياساتها المطبقة [4]. لذلك فإن وجود الجيش الأمريكي الذي سبق وجود الدولة

---

[1] د. حميد السعدون ، السلوك الأمريكي في العراق بعد الاحتلال ، الملف السياسي ، العدد (٣) ، مركز الدراسات الدولية ، بغداد ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٣ .

[2] وكالة الإعلام الأمريكي ، موجز التاريخ الأمريكي ، واشنطن ، ١٩٨٦ ، ص ٨٩ .

[3] محمد حسنين هيكل ، الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق ، ط ٢ ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ٢٣١ .

[4] Samual Eliot , The Growth of the American Republic , Oxford UP , 1969 , P. 364 .

الأمريكية بشكلها الحالي، لأن هذا التوسع والنفوذ تم بقدرة هذا الجيش على إنجازه، وهو في النهاية لم يفشل في تجربة الاختبار.

وحينما انقسم العالم لقطبين تحت تسمية القطبية الثنائية (Bapler System)، كان دور المؤسسة العسكرية فاعلا في ترسيخ وأهمية الدور الكوني للولايات المتحدة الأمريكية، بما مكنها من الدخول في سباق تسليحي مفتوح للآخر مع الاتحاد السوفيتي، الذي وجد نفسه طرفا في مشروع بلا نهاية له. ولأن الموارد الأمريكية هائلة، غير ما يسندها من حلفائها وأعوانها بالموارد المعززة لدورها، مما مكنها من قصم ظهر الاتحاد السوفيتي ودفعته لعجز اقتصادي وسياسي مهين . لذلك فالمؤسسة العسكرية الأمريكية نجحت في الفوز بسباقها في أيام الحرب الباردة مع المنافس المقابل، مما هيأ الأمور، مع ما يضاف لها من أسباب أخرى إلى تشظي الإمبراطورية السوفيتية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية. حدوث ذلك مكن الولايات المتحدة الأمريكية من التصدر والانفراد بتقرير مصير العالم منذ بداية تسعينيات القرن الماضي حتى الآن، وهو ما أصطلح على تسميته بنظام أحادية القطب (Unipolar)[1].

انهيار الاتحاد السوفيتي مكن الولايات المتحدة الأمريكية من الإمساك باللحظة التاريخية التي مهدت لظهور إمبراطورية لم يسبق لها مثيل في التاريخ الإنساني ، فهي أقوى دولة برية وبحرية وجوية، كما أن تحكمها بالبحار والمحيطات والفضاء أمر طاغ . فتلك أول مرة منذ زمن الإمبراطورية الرومانية تكتشف فيها دولة من الدول إنها تفردت بالقوة وحدها. مع إدراك أن التفرد الأمريكي بالقوة الآن أوسع وأخطر مما كان متوفراً لأي قيصر روماني، بحكم النطاق الجغرافي للصراع ، وما وفره العلم من مستحدثات هائلة وغير مطروقة، مما أعطى الأرجحية للولايات المتحدة الأمريكية من حكم الدنيا بقاراتها ومحيطاتها وفضائها الكوني ، وهو وضع غير مسبوق [2]. يرافق ذلك ما تملكه من اقتصاد كبير ومؤثر في مجمل حركة الاقتصاد العالمي ، هذا غير ما متوفر لها من قاعدة علمية وتقنية وثقافية وإعلامية قادرة على إحداث التغيير الذي تريده ، بحيث بدت قوة كاسحة (Hyper Power) على المسرح السياسي الدولي .

بدايات التمدد الأمريكي :

إن الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك في منطقة الشرق الأوسط نفوذا واسعا على الصعيدين السياسي والاقتصادي ، وفي المقدمة منها استثماراتها واهتماماتها النفطية ، لكن مع كل هذا النفوذ كانت جميع البلدان العربية تخشى من السماح للوجود العسكري الأمريكي بالتواجد على أراضيها أن يكون دائما مرئيا لأسباب داخلية وإقليمية . ومثل هذا الأمر كانت تعاني منه المؤسسة العسكرية الأمريكية التي اضطرت أن تكون مقرات " القيادة المركزية " [3] الأمريكية في فلوريدا ، وليس في داخل المنطقة المعنية بها واجبات

---

[1] **كوفي عنان ، التجديد وسط الانتقال ، منشورات دار شؤون الإعلام في الأمم المتحدة ، نيويورك ، ١٩٩٧ ، ص ٤٠ وما بعدها .**

[2] **محمد حسنين هيكل ، مصدر سابق ، ص ٣١٣ .**

[3] **القيادة المركزية SENTCOM: جرى تأسيسها كإحدى القيادات الرئيسة الأمريكية في العام ١٩٨٠ بعد الثورة الإيرانية والتدخل السوفيتي في أفغانستان في العام ١٩٧٩ . وكانت جغرافية نشاط هذه القيادة**

هذه القيادة . لكن حينما أخطأت القيادة العراقية ، ودخلت الكويت في الثاني من آب / أغسطس ١٩٩٠ ، في ظل ظرف دولي كانت فيه الولايات المتحدة تملك السيادة على شؤون العالم ، فإنها بفعلتها تلك أيقظت الدنيا على أزمة من نوع لم يعرف من قبل [١]. لحساسية الغرب والولايات المتحدة إزاء الثروة النفطية الكويتية التي احتلها العراق ، أو تلك المناطق التي اعتقد الأمريكان أن العراق قد خطط لاحتلالها مستقبلا ، وهذا الأمر لا يمكن التساهل فيه ، لأنه يعد تجاوزا للخطوط الحمراء ، كما أن السكوت عليه معناه التحكم في الخزين النفطي الذي يحتاجه العالم ، والذي يجد فيه الغرب أحد أسباب ديمومة حضارته وقوته .

دخول الجيش العراقي للكويت والذي تحقق في الزمان والمكان الخطأ ، استدعى من الولايات المتحدة الأمريكية أن تمسك بزمام الأزمة من خلال مواجهته بإجراءات رادعة وحازمة ، وعلى المستويات كافة . فعلى المستوى السياسي الدولي فإنها أخذت العالم معها للتنديد بما حصل ، واستحصلت تحت حكم القوة والنفوذ على جملة من القرارات الدولية من مجلس الأمن الدولي - التي طوقت العراق وجعلته أشبه بالمحاصر في خندق . وعلى المستوى العسكري فإنها تمكنت من الحصول على مسرح قتالي لمواجهة العراق من خلال الأراضي السعودية، حشدت فيه أفضل مقاتليها وخيرة فرقها العسكرية ، كما وجدت دعما ومشاركة عربية وإسلامية في جهدها العسكري من (٣٣) دولة لتغطية الاتجاهات السياسية لهذا الحشد الضخم ، الأمر الذي أفصح عن نتائج ذلك الصراع حتى قبل أن تفتح البنادق فوهاتها بالرمي [٢]. ولذلك فإن الحملة العسكرية التي بدأت في ١٧ كانون الثاني/يناير ١٩٩١، والتي استمرت خمسة وأربعين يوما، كانت تهدف فضلا عن إخراج القوات العراقية من الكويت، إلى تحطيم قدرات العراق وإمكاناته الاقتصادية والعلمية والثقافية والإنسانية، التي أعطته مكانة متميزة في إمكانات وحدود القوة الإقليمية، وبشكل كارثي لا يوصف.

النتائج النهائية لعاصفة الصحراء انتهت إلى تحطيم قدرات العراق العسكرية ، وإلى إخراجه من لعبة القوة والنفوذ على المستوى الإقليمي، هذا غير أنها حفرت أخاديد عميقة في موضوعة التضامن العربي والمصير المشترك، لكن الأخطر في تلك النتائج إنها مكنت الولايات المتحدة الأمريكية من التمركز في إقليم النفط العربي وبشكل مرحب به، بل وصل الأمر أن دول الخليج الست مولت نفقات عاصفة الصحراء كافة، بحيث لم تتحمل الخزانة الأمريكية أو دافعي الضرائب الأمريكان أي شيء [٣]. كما إن هذا التمركز قد جرى تخريجه حينما عقدت الولايات المتحدة اتفاقيات أمنية وعسكرية مكنتها من بناء قواعد عسكرية دائمة لأغراض أنشطة القيادة المركزية الأمريكية، ولعل في قواعد (علي السالم) في الكويت، وقاعدة (المحرق) البحرية والجوية في البحرين، وقاعدة (سلطان) الجوية في المملكة العربية السعودية، وقاعدة (السيلية) في قطر، وقاعدة (زايد) في الإمارات العربية المتحدة،

يشمل المنطقة الممتدة من الرباط حتى كراجي ، ولم تتجرأ أي دولة في المنطقة من أن تعطيها وجودا دائما في أراضها قبل العام ١٩٩٠ ، بقدر ما كان الأمر يقتصر على إجراء المناورات العسكرية المشتركة.

[١] محمد حسنين هيكل ، حرب الخليج أوهام القوة والنصر ، ط ١ ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٦ .

[٢] الجنرال تومي فرانكس ، جندي أمريكي ، ط ١ ، ترجمة محمد محمود التوبة ، العبيكان للنشر ، الرياض ، ٢٠٠٦ ، ص ٢١١-٢٢٦ .

[٣] محمد حسنين هيكل ، حرب الخليج ، مصدر سابق ، ص ٣٧٢ .

والقواعد الجوية والبحرية العائدة لسلطنة عمان في مسقط ومصيره، أمثلة صارخة على الشكل الترحيبي الذي وجدته الولايات المتحدة من سلطات هذه البلدان .

إن الترحيب والتسهيلات التي حصلت عليها الولايات المتحدة الأمريكية من دول الخليج على شكل قواعد ومعسكرات دائمية ، مع تحطيم أو غياب أية قوة رافضة لهذا الوجود ، نبههم أن المنطقة بالكامل مفتوحة أمامهم بعد إخراج العراق من لعبة القوة الإقليمية ، وإفشال أية محاولة عربية للتعويض أو الاستبدال ، مثلما عبر عنها ميثاق دمشق في العام ١٩٩١ [١]، ومحاصرة إيران بجملة من الإجراءات الرادعة التي كانت سياسة " الاحتواء المزدوج " تعبيرا عمليا لها . كل ذلك أغرى الأمريكان الذين لم يترددوا بإشغال الفراغ الذي بات واضحا في هيكلية مستوى القوة في المنطقة ، مع سعيهم لإزاحة المنافسين كافة، بما فيهم أصدقاؤهم من أعضاء التحالف الرئيسين ممن شاركوهم في امتحان الموت في عمليات عاصفة الصحراء .

علم الفيزياء يعلّمنا أن أي فراغ لا يجرى إشغاله ، فإنه يسبب إرباكا لمجمل عمليات المعادلة الفيزيائية ، وهذا ما وعته الولايات المتحدة ، بحيث بدت بعد العام ١٩٩١ وكأنها جزءا رئيسا من مكونات المنطقة ، ولذلك ليس من الغريب أن نوصف جيران العراق الجنوبيين قبيل عدوان آذار / مارس ٢٠٠٣ بأنهم الأمريكان ، وليس الدول المتواجدة فيها قواتهم [٢]. ولأنها بهذه الصورة التي مكنتها من التحكم بالمنطقة ، لم تجد صعوبة في شن عدوانها على العراق في العام ٢٠٠٣ ، انطلاقا مما حصلت عليه من قواعد ومعسكرات في دول الخليج العربية ، التي هيأت لها مسرحاً قتالياً مثالياً، أغرى المؤسسة العسكرية الأمريكية أن تنقل مقرات " القيادة المركزية " من فلوريدا في الولايات المتحدة إلى قاعدة " السيلية " في قطر ، لكونها الأفضل والأقرب ، وكذلك لتتماهى هذه القيادة مع مشروعاتها الإقليمية المسؤولة عنها .

التصعيد :

حينما وصل الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن لسدة الرئاسة في الولايات المتحدة في العام ٢٠٠٠ ، إثر قرار قضائي أصدرته المحكمة العليا الأمريكية ، رافقه جمهرة واسعة من غلاة اليمين الأمريكي المتطرف ، ممن يوصفون بـ"المحافظين الجدد"، الذين كان تأثيرهم واسعا وفاعلا في مفاصل إدارته ، لاسيما وأنهم مسكوا أهمها ، مستندين في ذلك للدعم الذي تقدمه الأصولية المسيحية للطروحات التي فصّلها برنامج بوش الانتخابي ، وتحديدا في إغراقه بالسلوكيات والإيماءات الدينية المتطرفة والمتزمتة ، بحيث بات البيت الأبيض مركز السلطة الأساسي في الولايات المتحدة مكانا للتقوى ، أكثر من كونه مكانا

---

[١] ميثاق دمشق : ميثاق سياسي وعسكري ضم دول الخليج الست زائدا مصر وسورية ، كبديل لقوة العراق الإقليمية ، وقد تنصلت دول الخليج بعد إجراء ترتيباتها مع الأمريكان من تنشيط الحركة فيه ، بطلب أمريكي ، وقد عدّوه وثيقة سياسية استوجبتها ضرورات الحالة ، ولا داعي لتطويره أكثر من ذلك ، وهذا ما حدث .

[٢] د. حميد السعدون ، العراق وجيرانه الجدد ، ورقة بحثية ألقيت في المؤتمر الأول لكلية الأركان العراقية ، شباط / فبراير ٢٠٠٣ .

لصنع السياسات [١]، وبلا شك إن دولة بحجم الولايات المتحدة وقدرتها وإمكانياتها ، تجعل من الدين معيارا لفاعلية أدائها السياسي على المسرح الدولي ، أمر له دلالات خطيرة على عموم المجتمع الإنساني ، لكونه يزيد من أشكال التوتر والتأزم بين المجتمعات المختلفة حضاريا وثقافيا ودينيا .

كما إن الرئيس (بوش الابن) معبأ بحماس على قدرته بإمكانية تنفيذ المشروع الإمبراطوري الأمريكي الذي صاغته مجموعة من المحافظين الجدد تحت عنوان " المشروع الأمريكي للقرن الواحد والعشرين " والهادف تحديدا لجعل هذا القرن قرنا أمريكيا بالكامل ، لأن ما متاح أمامه يؤهله أن ينفذ ذلك المشروع ، خاصة وأن تحت يديه جيشا هائلا وكبيرا ، محزما بأحدث ما توصلت إليه التقنية من اختراعات . فضلا عن إن أي مشروع إمبراطوري يستوجب عليه أن يظهر شكل القوة ووجه السلاح الذي يخيف العدو ويحيّد المتردد ، وهذا دور القوات المسلحة التي كانت مهيأة ومستعدة له .

ولذلك ما أن وقعت صواعق النار والدمار على مدينتي نيويورك وواشنطن في الحادي عشر من أيلول / سبتمبر ٢٠٠١ ، حتى عبّرت القيادة الأمريكية من خلال أفعالها عن وحشية طاغية ضد الآخرين ، تتقاطع ومفاهيم الحرية والعدالة وحقوق الإنسان ، التي أسس على قواعدها الوطن الأمريكي . فقد كانت قواعد العمل التي أعلنتها الولايات المتحدة في حربها على ما سمّته " الإرهاب الدولي " تكمن في العبارة التي قالها الرئيس بوش في أول خطاب له للشعب الأمريكي بعد تلك الحادثة ، والقائلة " مَنْ ليس معنا فهو ضدنا " فاتحة بذلك عهد تقنين الهيمنة ، أي أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تعد تكتفي باستعراض قوتها الاقتصادية أو العسكرية أو الثقافية، لكنها انتقلت إلى مجال إصدار الأوامر للدول المختلفة ، والتي عليها أن تنفذ فورا، لا فرق في ذلك بين حلفائها الأقربين، وبين أي دولة أخرى في العالم [٢].

هذا الاتجاه دفع الإدارة الأمريكية أن تعقد سلسلة من الاجتماعات المخصصة لاستيعاب ما جرى في الحادي عشر من أيلول / سبتمبر ، والرد عليه ، لكن الغريب أنه في أول اجتماع لها يقفز العراق كهدف بحجة أنه هدف سهل وكيان واضح ، في حين أن محاربة القاعدة أشبه بالبحث عن شبح، فضلا عن أن الأهداف الواجب ضربها في أفغانستان لا تزيد عن (٧-٩) أهداف، في حين يوفر العراق آلافا منها [٣].

حينما شنت الولايات المتحدة حملتها على أفغانستان، الواقعة تحت الدمار منذ العام ١٩٧٩ ، في تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠١، بعد أن حصلت الإدارة الأمريكية على تفويض من الكونغرس باستخدام كل القوة اللازمة ضد مرتكبي هجوم أيلول / سبتمبر، وكل من يساعدهم، غايتها في ذلك استعادة الاعتبار لنفسها، وإسقاط نظام (طالبان)، وتدمير منظمة (القاعدة) مع الإعلان أن هذه الحرب لا يحدها زمان ومكان . وقد بلور العقل الإستراتيجي الأمريكي المتطرف مذهبا إستراتيجيا أمريكيا ، أطلق عليه " مذهب بوش"، وهو يقرر

---

[١] **د. محمد عارف زكاء الله ، الدين والسياسة في أمريكا ، ط ١ ، ترجمة أمل عيتاني ، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص ١٣٩ .**

[٢] **السيد يسين ، الحرب الكونية الثالثة ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ٣٧٠ .**

[٣] **بوب وودوارد، خطة الهجوم، ط ١، تعريب فاضل جكتر، مكتبة العبيكان، الرياض، ٢٠٠٤ ، ص ١٩ .**

الحق المطلق للولايات المتحدة في أن تقوم بضربات استباقية أو إجهاضية ضد أي دولة، إذا ما قررت أنها تمثل خطرا على أمنها القومي[١]. ثم أفصحت الإدارة الأمريكية عن تصوراتها السياسية عبر الوثيقة التي سمتها "الإستراتيجية الأمريكية للأمن القومي"[٢]. والمدقق في هذه الوثيقة يجدها إعلاناً إمبراطورياً لم يعد يهتم بحماية نفسه بشرعية فضفاضة على الصعيدين القانوني والسياسي ،فهي بمثابة فتح الستار عن حقبة الهيمنة الإمبراطورية الأمريكية ، وانقلاب في طبيعة العلاقات الدولية ، لأنها تتجاوز مبدأ الشرعية الدولية لتقرير الحق لنفسها بتغيير حتى الأنظمة التي تجدها الولايات المتحدة الأمريكية تشكل تهديدا لها.

وحينما انتهت الحملة العسكرية الأمريكية "بالنصر" في أفغانستان، فقد كان ثقل هذا العمل قد تقاسمته جهود البنتاغون وإدارة العمل السري (CIA)، مع ما قدمه " إتحاد الشمال " الأفغاني من عون بعد أن اتخموا بحزمات كبيرة من الدولارات لتغيير ولاءاتهم والمشاركة الجدية في الانقلاب على طالبان[٣]. والملاحظ أن تعابير ووصف " اتحاد الشمال" في الخطاب السياسي والإعلامي الأمريكي قد تغيرت بشكل كبير، فبالأمس كانوا "مرتزقة"، إلا إنهم اليوم مقاتلون من أجل "الحرية"!!!، ولأن أفغانستان لا تمثل إغراءا كبيرا لخطط الإستراتيجية الأمريكية التي وجدت أن هدفها هناك يتلخص في محاربة "الإرهاب الدولي" الذي تمثل القاعدة طليعة له . لذلك فإنها استطاعت أن تحشد معها ائتلافا دوليا للمساعدة وإقرار النظام في هذه الدولة، بعد أن هندست الشكل الرسمي لقياداته وفقا لقربهم وتعاونهم معها. ما تحقق نجح في امتصاص غضب الرأي العام الأمريكي إزاء ما حصل في الحادي عشر من أيلول / سبتمبر ٢٠٠١ ، ومكن القيادة الأمريكية من تصدير أزمتها إلى الخارج ، بما مكنها من معالجته بطريقة القوة المسلحة ، وهذا ما حصل يوم دخلت طلائع قواتها الخاصة وقوات حلفائها العاصمة كابول ، منهية بذلك حكم طالبان ، وفرار مقاتلي القاعدة لأماكن شتى .

ورغم انشغال الإدارة الأمريكية بترميم معنويات شعبها وإدارة حملتها العسكرية في أفغانستان ، إلا أن الهدف المركزي لها – العراق – لم يغب عن مناقشات مجلس الأمن القومي الأمريكي طوال مدة هذه الحملة ، وكان يقود هذا المنحى نائب الرئيس (تشيني) ووزير الدفاع (رامسفيلد) . إلا أن هذا الهدف جرى تأجيل معالجته لحين الإعداد له بطريقة منظمة ودقيقة ، وفي المقدمة من ذلك الرأي العام الأمريكي [٤].

فضلا عن ذلك فإن اعتماد سياسة الحرب على الإرهاب كونها حربا مفتوحة أعطت دفعا قويا لعسكرة السياسة الأمريكية، لاسيما بعد أن استطاعت من خلال التنسيق والتخويف والتلويح بالمساعدات من الحصول على قواعد ومعسكرات لقواتها المسلحة في جميع دول آسيا الوسطى التي انفلتت عن الاتحاد السوفيتي ، وأسست أنظمتها الغارقة في الشكل

---

[١] **سول لاندو ، الإمبراطورية الإستباقية ، ط ١ ، تعريب ليلى النابلسي ، الحوار الثقافي ، بيروت ، ٢٠٠٥ ، ص ٤٤ .**

[٢] **السيد يسين ، مصدر سابق ، ص ٣٧١ .**

[٣] **بوب وودوارد ، بوش محاربا ، عرض وتحليل حسين عبد الواحد ، الناشر مدبولي الصغير ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ١٢٢ .**

[٤] **محمد حسنين هيكل ، الإمبراطورية .. ، مصدر سابق ، ص ٢١٠-٢٣٣ .**

الشمولي البعيد جدا عن الحد الأدنى من معايير الديمقراطية والحرية ، اللتين جعلتهما الولايات المتحدة أحد أهم أهدافها الرئيسة في الألفية الثالثة [1].

لقد أسس هذا الوجود العسكري الأمريكي أرجحية وثقلا ملموسا لسياسات الولايات المتحدة الخاصة بالطاقة ، وتحديدا النفط والغاز ، واللذان تزخر بهما هذه الدول ، وغير مستثمرين في أغلبهما، مما فتح المجال واسعا للاستثمار في هذا الحقل، بما يتناغم والإطار الامبريالي الأمريكي بشكله الإمبراطوري [2]. ولذلك مثلما كان احتلال أفغانستان ردا على هجمات أيلول / سبتمبر ٢٠٠١ ، كما يقول الخطاب السياسي الأمريكي، فإنه في الوقت ذاته قدم إطارا جيوبولتيكيا أوسع ، لأنه مكنها من الإطلالة الواسعة على دول آسيا الوسطى المليئة بثروات الطاقة التي تحتاجها الولايات المتحدة في سعيها الإمبراطوري ، لاسيما وأن تلك الدول ذات الأنظمة الهشة والنهج السياسي الاعتباطي كانت أدوات عون اضافية، زائدا أن كياناتها معرضة للخطر ، وهي شبه معزولة عن الأسواق العالمية للطاقة . كل ذلك دفع هذه الدول للتعاون مع الولايات المتحدة في حملتها على أفغانستان ، وأغرتها بالتقدم خطوة أوسع في مجال استثمار الطاقة ، لحاجة الطرفين لها ، كلا حسب تصريفاته للأمور . رغم إدراك الولايات المتحدة أن بقاء أو زيادة حضورها العسكري والاقتصادي في هذه البلدان سيقوي العناصر المعادية لها [3].

وفي خطاب الاتحاد الذي ألقاه الرئيس بوش في كانون الثاني / يناير ٢٠٠٢ ، كان التصعيد واضحا، حينما شخص ما أسماه "محور الشر" الذي يضم (العراق، وإيران، وكوريا الشمالية)، وقد أضيفت الدولة الأخيرة خشية تولد حساسيات في العالم الإسلامي، ولإضفاء نوع من العدالة في تشخيص الدول التي تشكل تهديدا للسلام في العالم [4] - وفقا للرؤية الأمريكية-. وهكذا جرى استبدال الأولويات بتغيير الاتجاه من كابول نحو بغداد، لأن ذلك ما تستوجبه مقدماته الهادفة من خلال العمل العسكري لاحتلال العراق ، وإسقاط نظامه السياسي ، بحكم المطالب الإمبراطورية والضرورات الاقتصادية واللوازم الانتخابية ، مما شكل وعاءا واحدا على محسنات مغرية في هدفه الرئيس ، مثل " نزع أسلحة الدمار الشامل " و " الدكتاتورية المفرطة " أو " ضمان حقوق الإنسان " أو " مستقبل الديمقراطية " وغيرها الكثير .

العدوان :

إن غرور القوة الذي أخذ الولايات المتحدة الأمريكية إلى منتهاه هو من دفعها إلى أن تشن عدوانا على بلد من مؤسسي جامعة الدول العربية ، ومنظمة الأمم المتحدة ، ولم تثبت له صلة بما جرى في احداث أيلول/سبتمبر ٢٠٠١ ، أو المنظمات الإرهابية المتفرعة عنه. وقد جرى ذلك العدوان تحت إشراف وتوجيه المؤسسة العسكرية الأمريكية " البنتاغون". والأكيد في هذا الجانب أن هذه المؤسسة وبعد غياب الاتحاد السوفيتي عن مجرى التأثير في

---

[1] **اندرو باسفيتش، الإمبراطورية الأمريكية، ط ١،الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٣٠٦-٣١٠.**

[2] **نفيز مصدق أحمد ، الحرب على الحرية ، معهد الأبحاث والتطوير السياسي ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٤ ، ص ٩٠-٩٦ .**

[3] **زبيغنيو بريجنسكي ، الاختيار (السيطرة على العالم أم قيادة العالم) ، ترجمة عمر الأيوبي ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٨٧ .**

[4] **محمد حسنين هيكل ، الإمبراطورية ... ، مصدر سابق ، ص ٢٣٩ .**

الساحة الدولية، وجدت نفسها أمام فراغ هائل في أشكال الصراعات الدولية، بحيث عبرت بعض أوساطها في حالة استمرار هذا الأمر بأنها تعيش حالة انعدام الوزن [١].

فضلا عن ذلك فإن غياب أية مخاطر سوف تؤدي إلى شحوب دور المؤسسة العسكرية في صناعة القرار السياسي في واشنطن ، وهذا لا يتوافق وما تملكه هذه المؤسسة من تأثير ودور في مجمل الحياة الأمريكية ، دون أن ننسى أن لها أذرع متعددة ونافذة مع الشركات الأمريكية العملاقة ذات الصلة بمجال التسلح والتسليح ، والتي تملك الكثير من القدرة والإمكانات ، لاسيما دورها في تنشيط الاقتصاد القومي الأمريكي داخليا وخارجيا، غير ما تقدمه من تخادم لصانع القرار السياسي، من خلال ما توفره من جديد في مجال سلاح القوات المسلحة الأمريكية وبمختلف صنوفها، وبما يمكنه من توظيفه حيثما يستطيع.

لقد مارست الولايات المتحدة الأمريكية سياسة الاحتواء ضد العراق ، وقد نجحت فيها بطريقة واضحة ، حيث بان تدهور أوضاعه الاقتصادية والعلمية والصحية والإنسانية بشكل جلي ، بحيث أصبح حديث المنظمات الدولية التي طالبت بإنهاء الحصار المفروض عليه لأسباب إنسانية . لكن تلك الدعوات على كثرتها ونبل نواياها ، وجدت صمتا وإهمالا من قبل الإدارة الأمريكية ، حتى وصل الامر أن تقول وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة (مادلين أولبرايت) بأن العراق عليه استحقاق واجب دفعه !! لكن تلك السياسة على الرغم من نجاحها ، لم تعد متوافقة والمشروع الإمبراطوري الأمريكي ، لكون العراق يملك احتياطيا نفطيا قد يكون الأول في العالم، زائدا أنه عنصر تعويق للسياسة الأمريكية في موضوع "التسوية" في المنطقة العربية، مع ما يضاف لها من نهج مستقل لم تتعوده الولايات المتحدة من الأنظمة الشرق أوسطية. والأهم أن العراق يشكل نقطة محورية في رسم الإستراتيجيات الكبرى للمنطقة، التي تحتاجها الولايات المتحدة في مشروعها الكوني، لذلك فوجوده خارج السيطرة الأمريكية، يمثل ثغرة تشكل خطرا كبيرا على مجمل الوجود العسكري الأمريكي في المنطقة، فضلا عن أن احتلاله يحقق الربط الكامل بين حافات حلف الناتو في تركيا والوجود العسكري الأمريكي في الخليج العربي . ولذلك كان الاتجاه نحو احتلال العراق وإسقاط نظامه السياسي، من خلال القوة العسكرية امراً لابد منه، لأن ذلك يحقق درجة عالية من التحكم والسيطرة كتلك التي تحتاجها الولايات المتحدة في مشروعها الكوني الذي يمثل العراق فيه مركزا محوريا ورئيسا .

هذا الاتجاه الهادف لاحتلال العراق بدأ ينضج حتى قبل تولي الرئيس بوش مقاليد السلطة، من خلال أولويات المشروع الأمريكي للقرن الواحد والعشرين [٢]، والذي اعتمده كمنهج لسياسته الخارجية، ثم جرى الأخذ بمفهوم الحرب الاستباقية بحجة أن العراق يشكل تهديدا للمنطقة من خلال امتلاكه لأسلحة الدمار الشامل[٣]، وهذا ما جرى اعتماده من قبل وزارة الدفاع بإعداد سياسة خيارات جديدة مع العراق غير تلك التي كانت سائدة[٤].

---

[١] مجموعة باحثين ، الإمبراطورية الأمريكية ، ط ٢ ، مكتبة الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٧٣ .
[٢] بوب وودوارد ، خطة ... ، مصدر سابق ، ص ٢١ .
[٣] المصدر السابق ، ص ٥٦ .
[٤] الجنرال تومي فرانكس ، مصدر سابق ، ص ٢٦٦-٢٦٨ .

بعد بلورة هذه السياسة واعتمادها فقد انشغلت الإدارة الأمريكية في سلسلة من الاجتماعات الخاصة بالتحضير لحربها القادمة ، والتي لم يغب عنها الجنرال تومي فرانكس قائد قوات الغزو لاحقا . وقد كان التركيز في تلك الاجتماعات بالطلب من قائد قوات الغزو الاستعداد لحملة عسكرية جسورة على العراق ، من خلال فكر عسكري جديد يناسب المسرح المهيأ هناك ، بعيدا عن صخب الكتل البشرية الكبيرة كتلك التي شهدتها المنطقة في عاصفة الصحراء في العام ١٩٩١ [١]. وكان يتبنى هذا الطرح وزير الدفاع رامسفيلد الذي يمثل مدرسة جديدة في الحرب ، تمزج بين أشياء كثيرة : القتال ، والسياسة ، والإعلام ، والبهرجة والألم ، وتقنية الأسلحة واستخدامها ، وإرعاب العدو وإخضاعه .... الخ ، وكان يرفض الأخذ بنموذج عاصفة الصحراء في الخطط الجاري إعدادها لاحتلال العراق ، لأن ذلك النموذج يستلزم قوات كبيرة العدد ، وهو ما كان – رامسفيلد – يرفضه بشدة [٢].

هذه النظرة الجديدة للحروب أشغلت ضباط ركن القيادة المركزية بالقيام بجملة من مشاريع الحرب التي كانت تعرض على وزير الدفاع ومجلس الأمن القومي ، حيث جرت عليها الكثير من التعديلات والمحسنات التي تستوجبها الضرورة ، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن الولايات المتحدة الأمريكية ستكون المسؤول الرئيس عن العمل القادم ، حتى وإن كان ذلك بمفردها . وفي هذا الجانب فقد قدم جهاز (CIA) توصيات أشار فيها إلى فشل العمليات السرية بإمكانية التغيير في العراق ، مع تأكيده إن ذلك لن تنجزه غير حملة عسكرية أمريكية [٣]. ولذلك ولغرض التركيز فقد جرى توكيد التعاون بين (CIA) ووزارة الدفاع لغرض إعداد ملفات الحرب وما تتطلبه ، بما يتناسب وحاجات القوات المسلحة في حملتها القادمة [٤].

وعليه ومن أجل تقبل الرأي العام الأمريكي لمسوغات الإدارة الذاهبة للحرب بتصميم، فقد تعهدت "الميديا" الإعلامية الأمريكية بتسويق المخاطر التي يسببها النظام العراقي للولايات المتحدة والمنطقة، سواء بما اتهم من حيازته لأسلحة الدمار الشامل، أو دكتاتوريته وانتهاكه حقوق الإنسان، أو الكثير من الحجج الأخرى. مضافا لذلك أن الإدارة اتجهت للإعلان عن ضرورة إزالة قدرة العراق العسكرية التقليدية وغير التقليدية، بسبب التهديدات التي يشكلها على دول المنطقة، من خلال ما سمتّه مدخلا إستراتيجيا جديدا يتوافق والافتراضات الإستراتيجية التي تعتمدها الإدارة الأمريكية، دون إغفال خيارات المساندة إن وجدت[٥]. لذلك فإن مخططي–القيادة المركزية–اعتمدوا سبعة خطط للغزو جرى تطويرها وتحديثها بما يتلاءم والمناخ المحيط بجو المعركة، وعدد القوات الفاعلة على المسرح القتالي[٦].

فضلا عن ذلك فقد عقد الجنرال فرانكس سلسلة من الاجتماعات المتعددة مع قادة دول الجوار العربي للعراق، من أجل التحضير للعدوان، وشكل العون الذي يقدموه. وهذا ما

---

[١] **محمد حسنين هيكل ، الإمبراطورية ... ، مصدر سابق ، ص ٣٤٧ .**
[٢] **المصدر أعلاه ، ص ٣٥١ .**
[٣] **بوب وودوارد ، خطة ... ، مصدر سابق ، ص ١٠٨ .**
[٤] **المصدر السابق ، ص١٦١ .**
[٥] **الجنرال تومي فرانكس ، مصدر سابق ، ص ٤٣١-٤٣٤ .**
[٦] **المصدر السابق ، ص ٤٩٥ .**

حصل لاحقا ، حيث باتت أجواء (الأردن، ومصر، والسعودية، والكويت، وقطر، والبحرين، والإمارات، وعمان) مفتوحة للطيران الأمريكي ، زائدا تمركز بعض القوات الأمريكية على أراضيها لغرض المشاركة في الحرب . فضلا عن مركز الحملة الرئيس الذي انطلق من الكويت ، كما إن الأردن والسعودية سهلت دخول القوات الخاصة الأمريكية للأراضي العراقية وحمت تسللها [١]. وعليه فإن الدعم اللوجستي الذي قدمته هذه الدول ساهم في بلورة الخطط المعدة للغزو ، وبطريقة مركزية موجهة ، وسهل من سرعة إنجازها لهدفها المركزي المتمثل باحتلال العراق ، وإسقاط النظام السياسي القائم فيه [٢]، بعد أن هيمن خيار الحرب على فكر وأداء الإدارة الأمريكية وجنرالاتها .

ورغبة من الولايات المتحدة في الإحاطة بجو الصراع القادم ، فإنها استحصلت من مجلس الأمن الدولي قرارا تحت رقم (١٤٤١) أعيد بموجبه المفتشون الدوليون على أسلحة الدمار الشامل للعمل في العراق ، لغرض التدقيق من الدعاوى الأمريكية بامتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل . وبرغم مباشرتهم العمل في العراق منذ تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٢ ، في ظل تعاون عراقي واسع ، إلا أن أجواء التصعيد الأمريكي لم تتوقف، بل أخذت وتيرة أعلى ، بحيث دفعت وزير الخارجية الأمريكي السابق (كولن باول) أن يقدم في شباط / فبراير ٢٠٠٣ أمام مجلس الأمن الدولي مرافعة طويلة شحنتها وزارة الدفاع الأمريكية بالكثير من الصور والتسجيلات التي تشير إلى ما يشكله العراق من تهديد على المنطقة والسلم العالمي [٣].

وبلا شك أن تلك الخطوة كانت عذرا استباقيا لنيتها بالذهاب إلى الحرب، وقد أدرك الجميع أن الولايات المتحدة مصممة على احتلال العراق، حتى وإن عجزت عن الحصول على تفويض دولي، لاسيما بعد إعلانات فرنسية بعدم قبولها جواز استخدام القوة في ما يخص القضية العراقية، واستعدادها لاستعمال حق النقض داخل مجلس الأمن، لأي قرار يفوض الأمريكان باستخدام القوة. وإزاء ذلك فإنها حين شرعت ببدء العمليات الحربية لم يكن معها غير المتطابقين وسياستها العدوانية، مثل (بريطانيا، وأستراليا، وإسبانيا) مع بعض الكتائب المساندة من بعض دول أوروبا الشرقية (بولندا، وجيكيا، وأوكرانيا... الخ).

وإذا كانت خطة الحرب في أوراق ومشاريع القيادة المركزية تأخذ الاسم (V-1003)[٤]، فإنها على لسان وزير الدفاع رامسفيلد والأداء السياسي الحكومي تحمل اسم (الصدمة والرعب Shoch and Awe)[٥]. وقد خطط لهذه الحملة التي رافقها تدفق إعلامي كبير أن تجبر الناس على الخضوع لكل الاملاءات الأمريكية ، وهذا ما بان واضحا في الاستعمال المفرط للقوة النارية وبمختلف صنوف الأسلحة، غايتها في ذلك خلق الإحساس لدى الجميع بعدم القدرة على التكافؤ في جوانب الصراع العسكري، حيث وضعت تحت تصرف القوات الزاحفة، أحدث تقنيات العصر في مجال الاتصالات من أقمار

---

[١] المصدر السابق ، ص ٥٠٠ .
[٢] بوب وودوارد ، خطة ... ، مصدر سابق ، ص ١٧٩ .
[٣] المصدر السابق ، ص ٢٦١ .
[٤] الجنرال تومي فرانكس ، مصدر سابق ، ص ٥٠١ .
[٥] مجموعة مؤلفين، إستراتيجية التدمير، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٦ ، ص ١٠٢ .

صناعية إلى شبكات الاختراق إلى الطائرات المسيرة بدون طيار، وغيرها الكثير من التقنيات التي أعانتها في زحفها الذي كان قائدها العام–فرانكس– يلح أن يكون جريئا ومتواصلا وصولا إلى بغداد كهدف نهائي للحملة [١]. وبرغم عدم تكافؤ أشكال التسليح بين الطرفين، إلا أن الجيش العراقي–وبرغم انكشاف أجوائه واختراق منظوماته السلكية والرادارية–قاتل بضراوة واستبسال حيثما توفرت له الفرصة، بل أن القتال كان قائما في أم قصر والناصرية والبصرة، رغم احتلال بغداد بجو احتفالي باهت[٢]، أرادته الولايات المتحدة الأمريكية تعويضا عن مفاجأتها بعدم نثر "الورود والحلوى"تحت أقدام جنودها، مثلما أخبرتها بعض القوى المعارضة للنظام العراقي السابق!!

حينما تمكنت الولايات المتحدة الأمريكية من إسقاط النظام السابق واحتلال العراق، فإنها تركت البلد سائبا، مما أدى لشيوع حالات السلب والنهب لكل مؤسسات الدولة، وبطريقة لصوصية، وهو أمر شجع عليه المحتل، بل أن رامسفيلد سمّاه "حرية الفوضى"[٣]، وكأنه بذلك يمهد الطريق لتفكيك مؤسسات الدولة التي لم يتأخر المحتل في إصدار قرارات حلها في شهر أيار/مايو ٢٠٠٣، لتحل الفوضى والقتل وممارسات اللصوصية المتعددة، كظواهر جديدة في حياة المجتمع العراقي[٤]، دون أي تدخل ملموس من جيش الاحتلال الذي باتت كل الأمور مناطة به وبقراراته[٥]. بل إنه واستكمالا لإشرافه وتوجيهه، فإن قيادة البنتاغون رشحت الجنرال (جاي غارنر) مسؤولا للسلطة المؤقتة لما بعد الاحتلال[٦]، ولم تكن هناك سلطة غير سلطة الجيش الأمريكي. كما تم، وبأمر رئاسي، إحالة ملف (مستقبل العراق) الذي كانت وزارة الخارجية معنية به إلى البنتاغون، لاستكمال أن تكون حلقات الطوق بيدها وبأوامرها، بعيدا عن البيروقراطية الدبلوماسية [٧].

إن احتلال العراق الذي تحقق عن طريق الجيش الأمريكي بقدر ما هو جرح غائر في الوجدان العراقي، لكنه في الوقت ذاته أصبح ثقبا كونيا للإدارة الأمريكية التي عجزت عن سده، رغم كل ما تملكه من إمكانيات لا حدود لها، جراء الفعل العراقي المقاوم الذي لم يعط للمحتل فرصة لالتقاط أنفاسه، بل أغرقه في الخسائر البشرية والمادية الكثيرة. وجراء ذلك فإن الوضع العراقي وما يحصل فيه من خسائر هائلة للجانب الأمريكي بات أهم أجندة كل السياسيين الأمريكان، من هم خارج الإدارة أو داخلها. ولعلنا نتلمس ذلك واضحا أن جميع مرشحي الرئاسة لعام ٢٠٠٨ اعتمدوه كمفصل رئيس لحملتهم الانتخابية. ورغم أن بعضهم بالغ بأنه سيسحب الجيش الأمريكي من العراق خلال سنة واحدة كأبعد تقدير بعد فوزه، لكننا نشك بذلك، لكون أن ما تحقق في العراق للمصالح والنفوذ الأمريكي تتصاغر أمامه كل دعوات المرشحين ما قبل الانتخاب. كما نرى أن المحتل سيهندس شكل تواجده في العراق بنموذج مستحدث يمكّنه من البقاء الآمن، وبما يجعل يده طويلة للانتفاع من ثرواته.

---

[١] **الجنرال تومي فرانكس ، مصدر سابق ، ص ٦١٠ .**
[٢] **مجموعة مؤلفين ، مصدر سابق ، ص ١٠٣ .**
[٣] **قناة الجزيرة الفضائية،برنامج حرب رامسفيلد، تكرر عرضه لأكثر من مرة آخرها في١٤نيسان ٢٠٠٨.**
[٤] **بوب وودوارد ، خطة ... ، مصدر سابق ، ص ٤٨٠ .**
[٥] **المصدر السابق ، ص ٤٠٢ .**
[٦] **الجنرال تومي فرانكس ، مصدر سابق ، ص ٥٤٤ .**
[٧] **بوب وودوارد ، خطة ... ، مصدر سابق ، ص ٤٨٦ .**

لقد كان من سوء حظ العراق أنه كان حاضرا في أهم حلقات الصراع الدولي التي شهدتها المنطقة الشرق أوسطية، فأولا في استخلاف ما تبقى من الدولة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى، وهذا ما اضطلعت به بريطانيا حينما احتل العراق في العام ١٩١٧، وهي في عنفوانها الإمبراطوري، وثانيا يوم كان طرفا أساسيا في سياسة الحرب الباردة التي انطلقت بعد الحرب العالمية الثانية، والتي شهدت قيام العديد من الأحلاف، وكانت بدايتها في منطقتنا (حلف بغداد)، وثالثا عند نهاية الحرب الباردة يوم سقط الاتحاد السوفيتي وتشظى، وهي اللحظة التي تزامنت والحرب الأمريكية ضد العراق في العام ١٩٩١، والتي مكنت تداعياتها من احتلاله في العام ٢٠٠٣، كأحد ركائز المشروع الإمبراطوري الأمريكي، والسبب في كل ذلك أنه قلب المنطقة ومحورها من خلال تاريخه وموقعه وشعبه وثرواته الطبيعية وكل شيء فيه.

الخاتمة:

ما حدث في نيسان/أبريل ٢٠٠٣ لحظة حزينة، لكنها ليست نهاية التاريخ بالنسبة للعراق، رغم أن ما حدث إعصار عات لا يستعاد بعده ما كان قبله، وإنما تستدعي لصده كل مكونات الشعب والمخزون من إرادتها، والمتيقظ من فكرها وعلمها، لأن المحتل المتحزم بأحدث تقنيات العصر من السلاح، والمحكوم بإرث ثقافي وسياسي عدواني، لا يمكن زحزحته عما حققه، إلا بعد أن يشعر ويرى الألم والخوف ماثلين أمامه بدون ستار، وهذا ما يفعله شعبنا العراقي، رغم أن فعله المقاوم لا يجد من محيطه العربي أي عون أو إسناد، وهو بذلك يتميز عن ما عداه من المقاومات الوطنية أنه يتيم... وهكذا هي الأحوال بدون رتوش.